رسالة من أمستردام : خواطر اعلامية

تلاع الصهيونية في غرب اوروبا واميركا اعتراها في السنوات الخمس الاخيرة الكثير من الصدع والكثير من الاختلال بينما تلاعها في اسيا وافريقيا تهدم معظمها او اوشك. والثابت بهذا الشأن ، ان ظهور المقاومة الفلسطينية على مسرح الاحداث في الشرق الاوسط منذ عام ١٩٦٧ كان له الاثر الابلغ في كل هذا ، على أساس ان العالم راح يرى الفلسطينيين وغيرهم من العرب يعملون ولا يتشدقون بالكلمات الفارغة الكبيرة فقط ، ثم على أساس ما قامت به المقاومة من الباس جسم الصهيونية وجهه الحقيقي القبيح واحلال هذا الوجه محل الوجه القديم الوديع . وباضافة الجهود الدبلوماسية الموفقة التي بذلتها بعض الحكومات العربية في المحافل الدولية ولدى مختلف الحكومات شرقية وغربية ، يصبح بوسع الانسان تقييم العوامل التي اضعفت الصهيونية عموما في مختلف بقاع العالم . ورغم هذا لا يستطيع المراقب الا الاحساس بالاسف لعدم تمكن العرب حتى الان ، رغم الوزن الكبير لاقطارهم اقتصاديا وسياسيا ، من قهر الصهيونية في عقر دارها وهو غرب اوروبا واميركا . ذلك ان الصهيونية أصبحت في الغرب ، باستثناء الولايات المتحدة الاميركية ، لا تحتمي بمواقع القوة التي كانت تحتمي بها سابقا . فالصهيونية من ناحية ، غالت أشد المغالاة في الخمسين سنة الاخيرة في شهر سلاح « الاضطهاد الاوروبي لليهود » في وجه كل معترض على منطقها وافعالها ومخططاتها ، ومن ناحية اخرى غالت اشد المغالاة في فرض ارادتها على وسائل الاعلام بالترغيب المادي مرة والتهديد والابتزاز السياسي مرات . وعندما اتاحت الظروف لوليد الصهيونية المسمى اسرائيل التفوق عسكريا على الدول العربية المجاورة له ، كشف عن انياب جائعة حادة لا تختلف عن انياب المانيا النازية المغموسة بلعاب التفوق والغرور والغزو. ولما كان للبشر عيون ترى ونفوس تنفر من خزي التطاول اللامنتهي على العقل البشري ، فقد مج الناس فعلا او مج معظمهم سماع اسطوانة « اضطهاد اليهود » لان الزمن والواقع افرغاها من محتواها . ولو كان الرسميون الفلسطينيون وغيرهم من اخوانهم العرب ، اعلاميين ودبلوماسيين ، يدركون فعلا ان قلاع الصهيونية في الغرب لم تعد تتمتع بمناعتها القديمة ، لادركوا ايضا أن مواجهة الصهيونية في الغرب ليست على ذلك القدر من الصعوبة . ومن خلال هذا كله ، ليس من الصواب تجاهل تلك العوامل الموضوعية التي جعلت من الانسان الغربي حليفا طبيعيا لليهود واسرائيل منذ الحرب العالمية الاخيرة وظهور اسرائيل . فاليهودي الذي سعى الى اسرائيل هو ابن الغرب ، والثقافة التي كانت سائدة في الغرب قبل الحرب العالمية الاخيرة وما بعدها بقليل ثقافة استعمارية خادعة صورت اسرائيل على انها امتداد للقارة الاوروبية ومنارة غربية تشع نورا وثقافة في الشرق الاوسط . ومع ذلك لو اخذ العرب بسياسة مواجهة الصهيونية في الغرب منذ عام ١٩٦٧ ، مواجهة التحدي المباشر ومواجهة الصدام مع وضوح الرؤية ، لكان حالهم الان مع الصهيونية شيئا اخر . واقصد بوضوح الرؤية ، الوعي بالاوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية المحيطة بمكان ما من التكيف معها . كما ليس من الصواب انكار نشاط الصهيونية في الغرب . فهي هناك تعمل باستمرار ونشاط كبيرين . ولو كان العرب مثلها ، يعملون بجرأة وتحد واصرار ، حتى لو قادهم ذلك الى حافة التصادم معها ، لوصلوا الى نتائج اوفى وافضل في مجال توضيح القضية الفلسطينية . والسبب بسيط ، هو أن صاحب الحق اقوى واصرح واصدق من مستلب حقوقه . انه لا يكذب ولا يبحث عن عطف ولا يبكي ولا يولول ، ولا يستدر الشفقة بدموع التماسيح مثلما تفعل الصهيونية .

هولندا مثل صادق على هذا الرأي . فهي مثل معظم اقطار غرب اوروبا كانت منذ الحرب العالمية الاخيرة وحتى عام ١٩٦٧ لقمة سائغة في فم الصهيونية . لكنها تحررت من هذا الكابوس لحد ما لاسباب معينة ، اهمها بدون شك انطلاق صوت الثورة الفلسطينية الذي أتاح للمثقفين العاملين في بعض أجهزة الاعلام واهمها التلفزيون ، النظر نظرة جديدة الى الثورة الفلسطينية والحق الفلسطيني . فبينما كانت أغلبية الافلام التسجيلية وافلام الريبورتاجات الاخبارية التلفزيونية قبل عام ١٩٦٧ مركزة على اسرائيل من دون اقطار الدنيا قاطبة ، أصبح هذا النوع من الافلام يتطرق